خصائص الإسلام

الإسلام دين الرحمة

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

أخي في الله – وفقك الله – اعلم أن الدين الذي بعث به النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة أبيضهم، وأسودهم، وأحمرهم، وأصفرهم، وعربهم وعجمهم هو دين الرحمة. إن الإنسان قبل البعثة المحمدية كان يعيش حياة قلق واضطراب وحياة جور وإجحاف، وحياة قنوط ويأس، وكان يعيش في انفصام وانقسام، وتشتت وتحزب، وفوضى وانحراف، وكان لا يعرف معاني التراحم والتواد والتساند والتعاطف والتحاب، ولا يعرف إلا التخاصم والتنازع والتشاجر والتحاسد والتباغض والشحناء والضغينة، وكان لا يدعو في المجتمع إلا ويلا وثبورا، وهلاكا ودمارا، وكان في حاجة إلى دين ينقذه من حياة الذل والهوان، والويل والحرمان، والجور والاعتساف، ويرشده إلى حياة سعيدة كريمة حرة حافلة بالبر والرحمة، والصدق والوفاء، والحياء والكرم، والجود والسخاء، والخير والسلامة، والأمن والأمان، والحب والوئام. ألا وهودين الهدى والبر والرحمة. وقد قدم هذا الدين بين يديه من النماذج الصالحة والصور الصادقة الرائعة الخالدة للرحمة والبر لا تحصى ولا تعد، وسيمر بك جزء يسير منها في السطور القادمة في موضعه قريبا إن شاء الله، لتدرك بذلك جيدا أن الإسلام دين الرحمة.

وقد وصف القرآن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه رؤوف رحيم قائلا: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} (سورة براءة: ١٢٨). ووصفه كذلك بأنه مبعوث رحمة للعالمين بقوله: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (سورة الأنبياء: ١٠٧).

ووصفه كذلك بقوله: {فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} (سورة آل عمران: ١٥٩).

وكذلك وصف أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، قائلا: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا} الآية (سورة الفتح: ٢٩).

فدلت النصوص القرآنية المتقدمة على أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الهدى والرحمة، وأن ما جاء به من عند الله تعالى من الدين والشريعة هو دين الرحمة.

أخي في الله – رحمك الله – إنك إذا قرأت السيرة النبوية الشريفة – على صاحبها أفضل الصلوات وأيمن البركات – رأيت أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم قد تجلت جوانب رحمته وبره في حياته الطيبة واضحا جليا، كما تراها واضحا في السطور التالية.

لما حضرت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة رفعها النبي صلى الله عليه وسلم في حجره ونفسه تضطرب، ففاضت عيناه، فقيل له: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء.[١]

وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاد غلاما يهوديا كان يخدمه حين مرض كما جاء في صحيح البخاري عن أنس – رضي الله عنه – أن غلاما ليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقال: "أسلم، فأسلم"[٢] الحديث.

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع أمامة بنت أبي العاص رضي الله عنها على عاتقه في الصلاة، فكان إذا ركع أو سجد وضعها، ففي صحيح البخاري عن أبي

---

[١] القصة ساقها البخاري في كتاب المرضى، باب عيادة الصبيان.

[٢] كتاب المرضى، باب عيادة المشرك.

قتادة قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضع، وإذا رفع رفعها". [١]

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ابنه إبراهيم فقبله وشمه. [٢]

وكذلك قبل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع لما أبصر ذلك: "إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "من لا يرحم لا يرحم". [٣]

ووضع الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما في حجره فحنّكه، فبال عليه، فدعا بماء فصب عليه كما في صحيح البخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع صبيا في حجره يحنكه فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه. [٤]

وكذلك أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فأقعده على فخذه، وأقعد الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما على فخذه الآخر ثم ضمهما ثم قال: "اللهم ارحمهما فإني أرحمهما". [٥]

وكان من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم العظيمة أنه كان إذا مر على الصبيان سلّم عليهم. [٦]

وقام الرسول صلى الله عليه وسلم مرة يصلي وكان أعرابي يصلي خلفه فقال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم قال للأعرابي: "لقد ضيّقت واسعا" كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال:

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

[٢] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

[٣] البخاري عن أبي هريرة: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

[٤] كتاب الأدب، باب وضع الصبي في الحجر.

[٥] البخاري عن أسامة بن زيد: كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ.

[٦] البخاري عن أنس بن مالك، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان.

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: "اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا". فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال للأعرابي: "لقد حجرت واسعا، يريد رحمة الله". [١]

وإن أكبر مظهر وأبهى صورة لرأفة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته وشفقته على الناس يتجلى واضحا جليا فيما يلي: عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال: "أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقا رحيما فقال: "ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي"[٢] الحديث.

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليقصر رحمته وبره على الإنسان فحسب، بل كان رحيما رفيقا بالحيوان كما ترى مثال ذلك واضحا في الحديث المروي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: "في كل ذات كبد رطبة أجر" [٣].

وأخبر ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، كما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله أن رسول الله قال: "عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض". [٤]

---

[١] باب رحمة الناس والبهائم.

[٢] البخاري، باب رحمة الناس والبهائم.

[٣] البخاري، باب رحمة الناس والبهائم.

[٤] باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي.

كم كان للعرب من عادات مرذولة أنكرها وأزالها، فقد كانوا يقتطعون من حيواناتهم، وهي حية، فيشوون ويطعمون، فنهى عن ذلك، وكذلك كان وشم الحيوان فيهم فاشيا، فنهى عن ذلك. وكانوا يتخذون من دوابهم أهدافا للرماية، فنهى عن ذلك، وعن أن يقطعوا ذيول الخيل، ومر مرة بناقة مربوطة جائعة، فحل وثاقها وأطلقها. [١]

ومن يقرأ السيرة النبوية العطرة على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التسليمات يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رؤوفا رحيما بالعيال والضعفاء، يقول أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما: "ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن، وكان ظئره قينا، فيأخذه فيقبله، ثم يرجع"[٢] الحديث. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يرحم الله من لا يرحم الناس" [٣] وسئل مرة أن يلعن أعداءه فقال: "إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة" [٤].

كانت رحمته وبره بالمساكين تمتد إلى ما بعد الموت. جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شابا، ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات، قال: أفلا كنتم آذنتموني؟ قال: فكأنهم صغروا أمرها أو أمره، فقال: دلوني على قبرها، فدلوه، فصلى عليها [٥] الحديث. وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: مرت بنا جنازة يهودي فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم وقمنا، فقلنا يا رسول الله! إنها جنازة يهودي، فقال: "أو ليست نفسا؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا". [٦]

---

[١] بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام بتغير يسير ص ٨٠.

[٢] رواه مسلم في صحيحه، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال الخ.

[٣] رواه مسلم في صحيحه، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال الخ.

[٤] رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

[٥] كتاب الجنائز.

[٦] باب من قام لجنازة يهودي.

ولما مات النجاشي نعاه لأصحابه، ثم تقدم، فصف الناس خلفه ، وصلى عليه. [١]

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: بعثني الله تعالى رحمة للعالمين، كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا رحمة مهداة". [٢]

وأكبر مظهر لرحمته صلى الله عليه وسلم يتجلى واضحا جليا في الطائف حين ذهب هناك مع مولاه زيد بن حارثة ليدعو أهله إلى الإسلام، فلما دعاهم إلى الإسلام لم تجب إليه واحدة منهم، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فقال أشرافهم: اخرج من بلادنا ، وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم، يسبونهم ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى أصابه شجاج في رأسه، ولم يزل السفهاء يفعلون به حتى التجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، على ثلاثة أميال من الطائف، فجلس تحته، فلما بلغ قرن المنازل بعد خروجه من الحائط كئيبا أسيفا كسير القلب بعث الله إليه جبرئيل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، كما ساق الشيخان هذه القصة عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت – وأنا مهموم – على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب – وهو المسمى بقرن المنازل – فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، لفعلت، قال النبي صلى

---

[١] البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، باب الصفوف على الجنازة.

[٢] رواه الدارمي والبيهقي بسند صحيح.

الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا". [١]

انظر إلى رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم ورفقه ورأفته بأمته في هذه القصة، يدعو لأهل الطائف بالهدى والتوفيق والخير والسداد والرشاد مع أنه جريح مثقل متلطخ بالدماء، قائلا: "اهد قومي فإنهم لا يعلمون".

وكذلك ترى أن أكبر مظهر لرحمته ورأفته بأعدائه الكفار والمشركين يتجلى واضحا حين دخل مكة فاتحا منتصرا، فإنه لما دخلها فاتحا عامل أهلها معاملة طيبة، لم يتعرض لأحد منهم بالحبس، أو النفي، والتعذيب والتنكيل، وما أيتم البنين، ولا أيم المرأة، وما أراق الدماء، وما أزهق النفوس الزكية،بل أعلن بكل صراحة بالأمان على الدماء والأموال والأعراض، وعفا عنهم، مع أنهم كانوا قد بالغوا في إيذائه واضطهاده مدة إقامته في مكة بعد ما بعث، ولما اطمأن الناس بعد الفتح قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال: "يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا! فأنتم الطلقاء". [٢]

هذه بعض الصور الصادقة والأمثلة الحية لرحمة النبي صلى الله عليه وسلم وبره سقناها أمامك.

بان بهذه التصريحات والمنصوصات بوضوح وجلاء بأن الرسالة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم هي رسالة رحمة وبر وأمن وسلام، ورسالة حب ووئام ومسالمة وسلم، ومودة ونصح، وإيثار وتضحية، ومواساة، وبذل وعطاء ....، لا تجد له نظيرا ولا مثيلا في المذاهب والفرق الأخرى غير دين الإسلام .... .

❖❖❖

[١] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق: ١ / ٤٥٨، صحيح مسلم، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين: ٢ / ١٠٩.

[٢] ضعيف، رواه ابن اسحاق معضلا كما في ابن هشام: ٢ / ٢٧٤.